# أسطورة الكهف والحقيقة الأفلاطونية: دراسة هيرمينوطيقية نقدية

**أ. محمد أمين بن جيلالي** [1]

**جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان**

مما لا شك فيه أننا أمام مسألة محورية حركت الفكر الإنساني على مدى تاريخه، هذه القضية التي إرتبطت وشائجها بجميع جوانب حياة الإنسان وتحديدا الجانب الفكري، وزادت قيمتها لما شغلت حيزا كبيرا في الحقل الفلسفي من حيث أن الموضوع الكلي للفلسفة هو البحث عن الحقيقة.

لقد اختلفت الرؤى وتعددت المذاهب حول هذه المسألة فكل فيلسوف كان له تبريره الخاص نحوها، وفي صدد الحديث عن الحقيقة من المنظور الأفلاطوني، والذي إشتملت أركانه التسويغية على الجمع بين: الخيال، القصة والعقل، بمعنى تقديم التسويغ الميثولوجي العقلي لماهية الحقيقة المطلقة، فإن "أفلاطون" (429 -347 ق.م) قدم الدليل على أطروحته مستخدما أسطورة الكهف، ليبين من خلالها واقع الأسس الوهمية في المجتمعات البشرية، هذه الأسطورة ذات تعبير رمزي عن معنى فلسفي يرتبط بالحقيقة والمعرفة، وعليه يحتاج إلى ممارسة تأويلية كباقي الخطابات الباطنية.

تأسيسا على البناء السابق نطرح الاستشكال التالي: **ما الحقيقة الأفلاطونية ؟، هل يمكن للأسطورة أن تؤسس للحقيقة ؟. التأويل عند أفلاطون، أية إستراتيجية فلسفية لفك رموز الحقيقة ؟. كيف يمكن تحليل خطاب الحقيقة عند أفلاطون برؤية نقدية معاصرة ؟.**

## أولا: الأسطورة كتبرير فلسفي:

إن اللجوء إلى العرض الأسطوري كان قبل نشأة الفلسفة، واستمر بعد النشأة رغم القطيعة الإبستيمولوجية[2]، والتي أحدثت بين التفكير الأسطوري والتفكير الفلسفي، لكن توظيف الأسطورة، وخاصة مع بروز النسق الفلسفي الأفلاطوني إتخذ طابعا جديدا ومغايرا.

### 1-الأسطورة: مقاربة إيتيمولوجية [3]:

للضرورة المنهجية لابد من تحديد المفهوم الدقيق للأسطورة من خلال مقابلته، بأبرز المفاهيم المشابهة له:

**الأسطورة** (mythos) [4]، وهي حكاية شعبية خرافية ذات حمولة دينية خيالية، تحكي عن كائنات تجسم وتشخص قوى الطبيعة بشكل رمزي [5]. يقابلها في تاريخ الفكر الفلسفي مصطلح: "لوغوس"، أي العقل.

**الأرموزة** (allegorie)، فحسب الفيلسوف الفرنسي "أندريه لالاند"( 1887-1963) : "هي رمزية عينية تتواصل على إمتداد الحكاية، بحيث تتوافق كل عناصر الرامز، توافقا نسقيا، عنصرا عنصرا مع عناصر المرموز إليه"[6].

**الأمثولة:** تشير إلى تماثل الأشياء. وفي هذا السياق ينبغي أن نتفق مبدئيا على أننا أمام أسطورة نظرا لاعتبارين أساسيين:

- الأول، أن "أفلاطون" نفسه، وسم كتابه السابع من "الجمهورية" بأسطورة الكهف.
- والثاني يتعلق بمنهجية الدراسة، بما أنني وظفت مصطلح الأسطورة في البناء اللغوي للمحاور الأساسية للبحث.

لكن الاستثنائية المنهجية تفرض على الباحث استخدام مصطلح الأمثولة نظرا لسببين منطقيين:

- الأول، لأن "محاورة الجمهورية" بأكملها تمثيل طويل بين الشر في عالم المحسوس، والخير في العالم المعقول.
- أما الثاني، فمصطلح الأمثولة له أهمية يستمدها من قوته الدلالية في المعنى مقارنة بالأسطورة والأرموزة.

تأسيسا على ما سبق يمكن أن نلاحظ أن الاختلاف والتباين في التسمية يدل على التضارب والتصدع المنهجي في توظيف الأسطورة من مرحلة فكرية إلى أخرى.

**2-توظيف الأسطورة عند أفلاطون:**

لم يتخلص الفكر اليوناني من الأسطورة والخرافة إلا منذ عصر السفسطائيين، فقبل "سقراط" تعاطى الفلاسفة مع الأساطير، فنجد في هذه الفترة العديد من النماذج، مثل: "أنبذوقليس"، "بروتاغوراس" خاصة في مسألة تعليم الفضيلة بأسطورة "بروميثوس" [7]، بالإضافة إلى "طاليس المالطي" الذي استخدم الأساطير التكوينية على المنوال الشرقي.

لكن مع ظهور المذهب العقلي عند الفلاسفة الكبار:"سقراط، أفلاطون وأرسطو"، لعبت الأسطورة دورا مركزيا في فلسفة أوسطهم "أفلاطون" إلا أنه ليس على النحو الذي كان قبل ظهور الفلسفة، فقد كانت الآراء في تلك الأثناء تقدم بشكل أسطوري لا دليل عليه، بينما أضاف "أفلاطون" الجانب العقلي في الميثولوجيا الإغريقية.

**3-ماهية الأسطورة الأفلاطونية:**

إن الأسطورة عند "أفلاطون" هي فعل للتواصل، بمعنى أنها منهج من مناهج التبليغ والتعليم (الحوار، التهيئة، الشعر والأسطورة)، فإستمدت الأساطير عنده صورها إما من التقاليد الأورفية والفيثاغورية، وإما من أحدث المفاهيم العلمية كما في محاورة "فيدرون"، حيث يقتبس تصوره للعالم الجهنمي من المعارف التي إكتسبها خلال رحلته إلى براكين "صقلية"، بينما يستغل، في تصوره لعالم السعادة معلومات جغرافية جديدة. فكثيرا ما عرض نظرياته في صورة رمزية، ولا نكاد نجد محاورة لا نعثر فيها على أساطير بارزة قليلا أو كثيرا، مثال: محاورة "تيماوس" التي تبدو أسطورية من بدايتها إلى نهايتها.

تختلف الأساطير حسب التنميط الأفلاطوني، فيمكن أن نختصر أنواعها في التالي [8]:

- أساطير رمزية: وهي ضرب للأمثال، وتعد منها أسطورة الكهف.

– أساطير تكوينية: ذات شكل تاريخي، تحكي تطورا وسيرورة، مثل: محاورة "تيماوس".

– أساطير شبه علمية: يندرج فيها ما يتعلق من الأساطير بنظريته في الطبيعة وفي النفس وفي الأخرويات.

بناءا على هذا التراكم الميثولوجي الذي يشحن فلسفة "أفلاطون" بشحنة زائدة تغطي جانب أكبر من فكره، نجد أن إلغاء الأساطير سيحدث شرخ عميق على مستوى منظومته الفلسفية المتكاملة، وعليه هذه الأهمية التي تحتلها الأسطورة لدى "أفلاطون" من حيث الكم والكيف مؤشر محوري للدلالة على أن الأسطورة آلة الفكر الأفلاطوني المنتجة للأبعاد والغايات الفلسفية، ومن جلها الحقيقة المطلقة.

**4–الغايات الأساسية للتفكير الميثولوجي عند أفلاطون:**

يمكن أن نوجز الغايات والأبعاد الجوهرية للتفكير الميثولوجي عند "أفلاطون" في أربعة غايات، وهي كالتالي[9]:

–التمييز بين الحقائق اليقينية التي يمكن البرهان عليها، والفروض التي هي في الغالب موضع شك.

–التعبير عن وقائع وأفكار يصعب إدراكها، يقول "هيجل" (1770 – 1831): " يمكن القول بأن استعمال الأساطير طريقة في التفلسف، وقد كان كذلك في الغالب ... وأنَا إذا أمعنا النظر، لوجدنا أن أساطير أفلاطون صادرة جزئيا من عجزه عن عرض فكره للناس عرضا أوضح".

–خلق قوة الانتباه والاهتمام، فـ:"أفلاطون" في محاورة "فيدرون" يقول: "إن أضمن وسيلة لامتلاك أسماع الناس وإيقاظ فكرهم هي مخاطبة خيالهم ...".

–للأساطير أغراض بيداغوجية تعليمية، لتسهيل فهم الحقائق الفلسفية.

ترتيبا على ما سبق نلاحظ أن الأسطورة ذات حمولة رمزية تمثيلية خيالية أثرت على أكثر المفكرين عقلانية (أفلاطون)، الذي وظفها كمسوغ فلسفي للتعبير عن وقائع وأفكار يصعب اختراقها، ومن ثم أصبحت الأسطورة لدى "أفلاطون" تعد من أبرز سردياته المنهجية، وأسطورة الكهف نموذج عن ذلك.

## ثانيا : الحدث الجينيالوجي لأسطورة الكهف:

تعد أسطورة الكهف من الأساطير الرمزية الأفلاطونية، وردت كما ذكرنا سابقا في الكتاب السابع من "الجمهورية" [10]، فهي عبارة عن حوار مطول تصوره "أفلاطون" بين "جلوكون بن أريستون" و"سقراط"، حاول من خلاله إبراز كيفية إعادة بناء المجتمع الأثيني حسب ما يعرفه من حقائق، بالبحث عن فضائل دولة المدينة، وتحديد مفهوم النفس الإنسانية، وإيجاد طريقة للتطابق بينهما [11].

فيما يلي سأعرض هذه الأسطورة ليس كما وردت في "الجمهورية"، بل ملخصة خالية من أسلوب الحوار، ثم فيما بعد أبرز المحاور الكرونولوجية الرئيسية لهذه الأسطورة حتى يسهل استيعاب أحداثها، وعليه يمكن أن يتلخص محتوى الأسطورة على النحو التالي:

" لنتصور أناسا يعيشون داخل كهف في باطن الأرض، وهم مقيدون منذ طفولتهم، بالسلاسل في أقدامهم، وأعناقهم، بحيث تستعصي الحركة عليهم. ولهذا الكهف باب يتجه نحو الضوء، فينير أرجاءه. وهم لا يتمكنون من النظر إلا إلى ما يمر أمامهم، لأن ظهورهم تقابل الباب. وهناك نار ملتهبة من أعلى خلف رؤوسهم، وعلى بعد منهم، بحيث تمر أشعتها من فوق رؤوسهم، وتقع على الحائط في باطن الكهف حيث ينظرون.

ويوجد بينهم وبين تلك النار، طريق يمتد فيه جدار غير مرتفع أشبه بالستار التي يلعب من ورائها الممثل بالدمى أو "القراقوز"، ويوجد خلف ذلك الجدار، قوم آخرون يحملون جميع أصناف الأشياء، والتماثيل المصنوعة من الخشب والحجر، وتبرز هذه الأشياء كلها فوق الجدار، فتلقي النار بظلالها على الحائط. ولما كان هؤلاء العاجزين عن التلفت إلى الخلف، فإنهم لم يشهدوا طول حياتهم غير تلك الظلال التي يعتقدون أنها حقائق.

فلو فرضنا أن شخصا من هؤلاء المساجين، فكت أغلاله واضطر إلى الوقوف على قدميه، والتفت نحو مصدر النور، فلن يقوى على رؤية الأشياء الحقيقية التي اعتاد رؤية ظلالها، بسبب شدة البريق الذي يخطف الأبصار. ثم

جاء أحد وأخبره أن ما كان يراه من قبل، هو مجرد أوهام وأشباح، وأن ما يراه الآن، هو الحقائق، فلن يصدقه، بل يعتقد أن الظلال التي كان يراها، أكثر حقيقة مما يراه الآن، فيعود إلى موقعه الأول داخل الكهف.

ولو فرضنا أنه بعد الترويض يصل إلى توجيه عينيه نحو النور، ويقتنع بأن ما يعتقده أول مرة كان عبارة عن أشباح، وأن الحقيقة هي مشاهدة ..." [12].

## ثالثا : هيرمينوطيقا أسطورة الكهف[13]:

إن أسطورة الكهف باعتبارها تحمل دلالة الرامز والمرموز إليه، تحتاج إلى ممارسة تأويلية تفكيكية لرموزها، وإذا تأملنا جيدا، فسنجد أن المحور الأساسي لهذه الأسطورة هو التأسيس الفلسفي لما يسمى في اللغة اليونانية "الأليثيا" (aletheia) أو الحقيقة، بمعنى آخر البرهنة على نظرية المعرفة والمثل.

وقبل الوصول إلى نواة القراءة الفلسفية لأسطورة الكهف، لابد من فك الشفرة الفيلولوجية للخطاب الأفلاطوني الملغز بالرموز الفلسفية.

**التأويل الأفلاطوني لرمز الكهف:**

إن الكهف أو السجن عند "أفلاطون" يقابله العالم المنظور أو المحسوس، ووهج النار يمثل ضوء الشمس، أما رحلة الصعود لرؤية الأشياء في العالم الأعلى تماثل صعود النفس إلى العالم المعقول، وآخر ما يدرك في هذا العالم بعد عناء شديد هو مثال الخير.

إذن نلاحظ هنا أن الفكرة الأساسية التي يقوم عليها مغزى هذه الأسطورة، هي التمييز بين عالمين: عالم مرئي حسي، وعالم غير مرئي عقلي وهو عالم المثل [14]، وعليه فهذا التنميط الأفلاطوني للعالم يحيل إلى قسمة أنطولوجية، ينبغي فهمها لإدراك العلاقة بين العالمين بوضوح، ومن ثم ما هي سمات كل عالم ؟.

**صفات العالم المحسوس** [15]: أين يقع هذا العالم ؟، في نظر "أفلاطون" للكون حقيقتين نهائيتين هما: الوجود والعدم المطلقين، وبين هذا وذاك مرحلة متوسطة تعبر عن الأشياء التي تقع تحت حواسنا، فهي تشارك المثال في

وجودها وتشارك المادة في عدمها، فالأشياء المحسوسة هي أنصاف حقائق، فلا هي مجردة كالمثل فتكون حقيقة مطلقة، ولا هي مادة خالصة خالية من صور المثل خلوا تاما، بل هي تجمع بين الوجود والعدم، من كل هذا نخلص إلى الصفات التالية للعالم المحسوس [16]:

-الحس متغير.

-الحسيات عابرة تكتسب اكتسابا.

-نسبية تختلف باختلاف الأشخاص والظروف والأحوال.

- متنازعة فيما بينها متعارضة يكثر فيها التشويش والاضطراب.

-تقدم لنا شتات المعلومات الجزئية المبعثرة.

**مميزات عالم المثل** (idos): يمكن تلخيص صفات المثل في التالي [17]:

-ذاتية، وجودها من نفسها، لم يسببها شيء خارج عنها، فهي أساس الأشياء، ولا شيء أساس لها (الأسس الأولى للعالم).

-العمومية، فمثال الإنسان هو الحقيقة العامة لكل إنسان.

-معاني مجردة، لها وجود في نفسها مستقل عن كل عقل، وما في العقل صورة لها.

-واحدة، فمثال الإنسان واحد، وإنما يتعدد الأشخاص.

-أبدية، فمثال الجمال أزلي، والأشياء الجميلة تفنى، فالمثل هي جوهر الأشياء وكمالها.

-لا يحدها زمان ومكان، فهي غير مشخصة.

-معقولة، في إمكان العقل أن يدركها بالبحث والاستنباط.

إذن نستنتج مما تقدم أن عالم المثل عالم سرمدي ثابت لا يعروه تغير ولا فساد، والمثل مركزة في النفس، وهي مطلقة، متسقة فيما بينها، فيها انسجام وتناغم وانتظام ولها صفة الكلية.

وعليه يشير "أفلاطون" إلى أنه لا يصح أن تدرك المعرفة بالحس، فالمثل حقائق كلية ثابتة موجودة بالفعل وجودا خارجيا مفارقا مستقلا عن الإنسان، وهي في وقت واحد مصدر المعرفة وعلة لها، كما هي مصدر لوجود الأشياء في العالم المحسوس وعلة له. إذن كيف نحلل هذه المفارقة (paradox) ؟.

إذا كانت المثل هي مصدر الأشياء بانطباع صورها على المادة، فهي إذن متغيرة، لأنها بذلك تتصف بصفة الإنتاج والإخراج والخلق، وهذا يترتب عليه التغير، لقد أبرز "أفلاطون" هذا التناقض واللبس، من ناحية أنه قال ثمة خالق مدبر للعالم، ومن ناحية أخرى لجأ إلى الخيال والشعر [18]، وبالتالي الأسطورة كتبرير ميثولوجي.

إن مسألة إقحام الفكر الأسطوري ضمن الجهاز المفاهيمي الأفلاطوني تقودنا، وبصفتنا باحثين في حقل الفلسفة إلى ممارسة تأويلية على أمثولة الكهف، فهذه الأخيرة، في اعتقادي لها أبعاد إبستيمولوجية، أنطولوجية وديناميكية، سنوجزها في التالي:

**1-البعد الديناميكي الجدلي** (dialectique):

من العلوم المساعدة على بلوغ الحقيقة حسب "أفلاطون": "الجبر، الهندسة، الفلك والديناميك" [19].

إذ أن هذا الأخير في رأيه هو قمة العلوم وتاجها. لكن أين نجد القيمة الديناميكية [20] لأمثولة الكهف ؟.

هذه القيمة تستقر على مستوى الفكر، في التقابل بين الظلام والنور، الجهل والعلم، الفناء والخلود، التغير والثبات، الحواس والعقل. إن الارتقاء كما ذكرنا سابقا من العالم الحسي إلى العالم الحقيقي يكون تدريجيا، فمن المظاهر، إلى الأشياء، إلى المعاني المجردة، وأخيرا المثل الحقيقية. لكن لا يمكن معرفة الحقيقة المطلقة والمحجوبة إلا مرورا بالديناميكتيك والجدل، الذي يبرز من خلال التأمل الفلسفي.

إن الإنسان عندما يعرف حقيقة ما فهو يتألم ولا يستطيع قبولها إلا بعد صراع، فالصراع إذن شرط عند "أفلاطون" لبلوغ الحقيقة، فإما أن نقبل بما نملكه من معرفة، وبهذا نشبه الراجعين إلى ذلك الكهف أو نحاول أن نكتشف الأصل والحقائق الجديدة وهذا يأتي بالمعاناة.

وتظهر لحظة الصراع في أمثولة الكهف في المشهد التالي:" عندما تفك قيود المساجين، وينظر أحدهم لأول مرة إلى الضياء فيتألم من عينيه ولا يستطيع النظر مرة أخرى، لكن بالترويض يصل إلى توجيه عينيه نحو النور" [21].

إن الهدف المركزي للدياليكتيك حسب تعبير "هايدغر" هو الانتقال من مرحلة "الأبايدويزيا" (عدم الإستنارة) إلى "البايدايا" [22] (الإستنارة)، وذلك يحتاج في رأي "أفلاطون" إلى تدريب وتربية وتطهير للنفس من الشوائب العالقة بها، كل ذلك سوف يقودنا إلى الرؤية الواضحة للحقيقة.

تأسيسا على ما سبق، يمكن القول أن أمثولة الكهف تنطوي على أبعاد فلسفية مرتبطة بمسألة البحث عن الحقيقة في إطلاقتيها، وبالتالي قد مهدت لمبحثين وقضيتين مركزيتين في حقل الفلسفة وهما: الإبستيمولوجيا والأنطولوجيا.

**2-البعد الإبستيمولوجي المعرفي:**

تحاول أمثولة الكهف أن تؤسس نظرية في تدرج المعرفة من الظن إلى الحقيقة، فالكهف هو رمز للعالم الوهمي الذي كثيرا ما تغفل عنه الحقيقة الواضحة، وهو أيضا عائق إبستيمولوجي يحجب عنا الحقيقة، وبالتالي نكون بصدد البحث عن هذه الحقيقة، فلا بد من التحرر من العالم الحسي، بالتأمل العقلي، فهذا الأخير هو الطريق نحو إدراك الماهيات المطلقة، وعليه تضعنا هذه الأمثولة أمام مستويات إدراك المعرفة [23]:

- الإحساس، وهو إدراك عوارض الأجسام وأشباحها في اليقظة والمنام، وهذا ما يقابله في القسم الأول من الأمثولة، الذي يسرد حياة الناس داخل الكهف.

- الظن والتخمين، وهو الحكم على المحسوسات بما هي كذلك، يتطابق ذلك مع القسم الذي يشير إلى الخلاص من القيود والبقاء في الكهف، ومحاولة إلتماس الحقيقة لكن يظل الظن مسيطرا على عقول المساجين.

– الإستدلال، وهو علم الماهيات الرياضية المتحققة في المحسوسات، ما يوائم هذا المستوى هو القسم الثالث من الأمثولة، عندما يبدأ السجين في الإنفتاح على العالم الخارجي ليشكل مجموعة من المعلومات الإستدلالية عن هذا العالم.

– التعقل، وهو إدراك الماهيات المجردة من كل مادة، وذلك ما يتوافق والقسم الأخير من الأمثولة، حيث أدرك المتحرر الحقيقة بالترويض وعاد ليخبر ويعقل أصدقائه في الكهف.

وفقا لهذه المستويات يتدرج الفكر في بلوغه وسعيه للمعرفة من الإحساس إلى الظن إلى العلم الإستدلالي ثم أخيرا التعقل المحض، مدفوعا بقوة باطنية [24]، هي في الحقيقة التعلق بالماهيات المطلقة، إذن مستويات الإدراك الأفلاطوني ترتكز على مفهومين:

–مفهوم العقل: ويتكون من العلم والفهم، وموضوعه الوجود.

–مفهوم الظن: ويتركب من الاعتقاد والتخيل، وموضوعه عالم التحول والتغير.

**3–البعد الأنطولوجي الوجودي:**

إذا نظرنا إلى أمثولة الكهف من الزاوية الأنطولوجية [25]، فإننا سنجد أن الحقيقة بالنسبة لأفلاطون موجودة أمامنا لكن متوارية، فهي موسومة بالإخفاء والانكشاف في الآن ذاته، فالحقيقة هي تستر وكشف، إننا أمام حقيقة أنطولوجية. إن الأمثولة تدعونا إلى السعي لبلوغ اليقين والتماس الماهيات، وفي الوقت ذاته تكشف عن الحقيقة، فالحقيقة هي اللاحقيقة (la non vérité).

إن عالم المثل لدى "أفلاطون" يحمل دلالة أنطولوجية شرطية، بمعنى أن الحقيقة المطلقة تتموضع داخل عالم المثل الذي من دونه لا يمكن إدراكها إدراكا صحيحا، فكما يقول الفيلسوف الألماني المعاصر "مارتن هايدغر" (1889–1976) في قرائته لأمثولة الكهف:"إن الأليثيا تقع في نير الإيديا" [26].

هذه هي أبعاد الحقيقة عند أفلاطون الأثيني الذي عكس التجربة الإغريقية عن مفهوم الحقيقة. و يمكن القول أنه أضاف لتاريخ الفلسفة من خلال هذه الأمثولة –بالإضافة إلى مقولتي المعرفة والوجود– مقولة الذات، فقيمة التجربة اليونانية، بالنسبة لـ"ميشال فوكو"، لا تكمن في الانتقال من الميتوس إلى اللوغوس، بل في اكتشاف الذات[27]، وذلك من خلال تحكم الفرد في ذاته بهدف التحكم في الآخرين، لكن عندما تخضع الحقائق إلى الأحكام الذاتية، من هنا نعتقد أن كل حقيقة ستصبح لعبة بين الخطأ والصواب.

**رابعا: الحقيقة عند أفلاطون بعيون معاصرة: مقاربة نقدية**

لقد تبدلت النظرة إلى الحقيقة في الفلسفة الغربية المعاصرة، خاصة مع النظرية التأويلية التي حولت السؤال الفلسفي التقليدي :كيف يجب أن يكون المعنى حتى أفهمه ؟، إلى سؤال جديد: كيف أفهم حتى يكون المعنى ؟. وانطلاقا من هذا التحول الإبستيمولوجي، ما موقع الحقيقة بالمنظور الأفلاطوني –الذي عكسته أمثولة الكهف– من المناهج الفلسفية المعاصرة ؟.

يمكن الإجابة عن هذا السؤال من خلال القول بكل بساطة أن الحقيقة المطلقة عند أفلاطون أصبحت بميزان النقد الفلسفي المعاصر إستراتيجية اختلاف ومغايرة، انفتاح على اللامعقول والخيالي، تعبير عن الحجب والخداع، ومؤسسة على اللامعنى والفراغ.

فعلى هذا النحو صارت تقرأ الحقيقة الأفلاطونية لدى "نيتشه"، أو "ماركس"، أو "هيدغر"، أو "ألتوسير"، أو "فوكو"، أو "دولوز"، أو "دريدا"، أمثالهم، وذلك على حسب منهجه، إذ لكل قراءة منهجها في البحث والتحقيق.

فلقد بين "نيتشه" بمنهجه الأصولي اللغوي، وهو يبحث في أصول المفاهيم، أن الحقيقة الفلسفية هي نسيج من الاستعارات والتشبيهات.

ويرى "هيدغر" من خلال منهجه الفينومينولوجي والتأويلي، وهو يبحث في كيفية نشوء الماورائيات، أن القول الفلسفي يخدع ويتستر على ما لا يقوله، وأن ما لايقوله هو الذي يحض على التفكير به لإعادة بناء وإستكشاف ما لم يفكر فيه وما لم يقله.

وبين "ألتوسير" بمنهجه التشخيصي، وهو يعيد قراءة أعمال "ماركس"، أن للحقيقة إعراضها وزلاتها، وأن لها صمتها وفراغها، بحيث يكون لدينا دوما ما لا يرى داخل حقل الرؤية ذاته.

واتجه "فوكو" بمنهجه الأركيولوجي، وهو ينقب عن أنظمة المعارف ويحفر في طبقات النصوص، إلى أن الخطاب يمارس ضربا من الرقابة على الحقيقة ويقوم بإجراءات منع وإستبعاد، مما يجعل قول الحقيقة أقل حقيقية مما يدعي.

وذهب "دولوز" بمنهجه البنيوي، وهو يبحث عن كيفية تشكل المعنى، إلى أن المعنى ليس صورة ولا هو ماهية، وإنما هو نسق من العلاقات، ولكنه نسق تتغير عناصره، وتتعدد مراكزه، وتكثر إنزياحاته، مما يعني أن الشيء الذي يعني، لا يعني بذاته، بل بموقعه ونسبه واختلافه.

وأخيرا، فلقد بين "دريدا" بمنهجه التفكيكي، وهو يسعى إلى تفكيك المعنى، أن النص ليس ساحة بيانات، بل ساحة تباينات، وأنه مجال للتوتر والتعارض، وحيز للتبعثر والتشتت، وذلك حيث يتولد دوما عن القراءة تفكك البنى، وإنفجار المعنى، وتشظي الهوية [28].

فإذا كان "أفلاطون" بتسجيله كلام "سقراط"، سعى هو إلى إنتشاله من موته الفعلي، لكنه قام في الأوان ذاته، وكما يؤكد عليه "دريدا"، بتأكيد موت "سقراط" إذ إخترق قانون الأب القائم على تحريم الكتابة[29]. وعليه يمكن أن نضيف إلى أن "أفلاطون" بكتابته وتأويله لأمثولة الكهف إنتشل الحقيقة من موتها الأنطولوجي، لكنه في نفس الوقت أكد موتها إذ هي معرضة للإنفلات من "الإيدوس".

تأسيسا على ما سبق يمكن القول أن المناهج الفلسفية المعاصرة حملت بداخلها نواة تحطيم المعنى الظاهر للحقيقة للوصول إلى المتستر والمتواري، اللامقول، اللامعنى، واللامفكر فيه، بمعنى أدق وجامع اختلاف معنى الحقيقة ومغايرتها، الأمر الذي يثير قوة الإنتباه والحدس الفلسفي لدى الباحث إلى ما أسماه المفكر "محمد أركون" بالحقيقة الحقيقية.

وختاما نصل إلى مجموعة من النتائج والملاحظات حول المنظور الميثولوجي للحقيقة عند "أفلاطون"، والتي نجملها وفق الترتيب التالي:

- أن الأسطورة لها قيمة حجاجية تبريرية في حقل الفلسفة، فرغم النبذ الثوري الكلاسيكي لها، إلا أننا نلاحظ أن "أفلاطون" عاد إليها بالرغم من عقلانيته الصارمة، ووظفها منهجيا كأداة تصويرية تعبيرية تمثيلية، وما يؤكد مركزية الأسطورة داخل العمل الفلسفي، هو تشبث الفلاسفة المعاصرين بأحبالها، فنجد مثلا الفيلسوف الألماني "هيدغر" يلجأ إلى الأساطير الألمانية واليونانية في أعماله، أيضا النفساني النمساوي "سيقموند. فرويد" (1856-1936) في أسطورة "أوديب" التي وظفت للتعبير عن مفهوم الكبت، و"كلود ليفي شتراوس" (1908- ؟ ) مزج مفهوم الأسطورة بمنهجه البنيوي، وعليه فرغم اللامعقول الذي يميز الأسطورة فإنها تؤسس للمعقول في الفلسفة الغربية المعاصرة.
- إن أمثولة الكهف أنتجت لنا خطابا عقليا، معرفيا وتأسيسيا: خطاب عقلي، لأنها أضافت النزعة العقلية المثالية (idealisme) كمذهب من المذاهب الفلسفية الكبرى في قضية إدراك الحقيقة، أما الخطاب المعرفي، فيبرز في الأهمية الإبيستيمية للأمثولة التي تنبجس في تأويلها فلسفيا مما أصبغ الطابع التجديدي على الرؤية في المسائل المعرفية، من خلال التأصيل لموقف فلسفي مبني على العقل والروح النقدية، وأخيرا خطاب تأسيسي، لأن أمثولة الكهف أسست للميتافيزيقا، والهيرمينوطيقا داخل حقل الفلسفة، كون أن محور سؤالها هو ماذا وراء

الأشياء؟، ماذا بعد الطبيعة ؟، وهذه ملاحظة تتبدى من خلال المشهد الجينيالوجي للكهف والمرتبط بالظلال وما تخفيه، أما الجانب الهيرمينوطيقي الذي كشفت عنه الأمثولة يؤكد عليه الدكتور "عادل مصطفى"، في كتابه: "فهم الفهم مدخل إلى الهيرمينوطيقا: نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير"، حيث يرى أن مفهوم التأويل وظفه "أفلاطون" للوصول إلى عمق المعنى في الأساطير والرموز، وبالتالي أمثولة الكهف جعلت "أفلاطون" يمارس فن التأويل، والفلاسفة من بعده ساروا على دربه في هذه المسألة.

- أن أمثولة الكهف الأفلاطونية أحدثت نسقا فلسفيا شاملا ومتكاملا، فلحظة بلوغ الحقيقة المطلقة هي لحظة اطمئنان النفس ومشاهدة مثال الخير (الأخلاق)، وبناء الدولة المثالية (السياسة)، وبلوغ الجمال المثال، كما يقول الإستيطيقي "رسكن" في هذا الصدد: " لا يمكن أن يكون جميلا، إلا ما كان حقا ".

وأخيرا، فإن أفلاطون أصبغ من خلال أمثولة الكهف معنى **أنطو–إبستيمي** على الفلسفة، حين وصف الفيلسوف بأنه شخص يصب اهتمامه على الحقيقة وليس على المظهر فقط، ويعنى بإدراك الوجود الماهوي للأشياء، ومنذ ذلك الحين أصبحت الفلسفة بأوسع معانيها تدل على محاولة تأملية معقولة لمعرفة خصائص وطبيعة الكون بما هو كائن، بمعنى مغاير الفلسفة هي التفكير داخل الحقيقة وخارجها في الآن نفسه.

**هوامش الدراسة:**

[1] – أستاذ العلوم السياسية، وباحث في تخصص الفلسفة والتنوع الثقافي.

[2] – الإبستيمولوجيا: مفهوم يتكون من مقطعين هما، (epstime) ويعني المعرفة أما المقطع الثاني، (logos) ويعني نقد أو نظرية أو دراسة، أي أنه نظرية أو نقد أو دراسة المعرفة. لكن بمعنى أدق فهي حسب "أندريه لالاند"(laland) ليست المناهج العلمية التي هي موضوع علم المناهج (methodology)، كما أنها ليست توليفا ظنيا بالقوانين العلمية على منوال المدرسة الوضعية. فالإبستيمولوجيا هي الدراسة النقدية لمبادئ مختلف العلوم وفرضياتها ونتائجها الرامية إلى تحديد أصلها المنطقي، قيمتها ومداها الموضوعي. أنظر بهذا الصدد:

– أندريه لالاند، **موسوعة لالاند الفلسفية**، تر: خليل أحمد خليل، المجلد الاول، بيروت، منشورات عويدات، ط2، 2001، ص.356.

والفرق بين فلسفة العلوم من حيث أنها تختص بالمناهج التي تبحث في الواقع، وبين الابستيمولوجيا من حيث أنها تختص بنقد هذه المناهج، وتختلف أيضا عن نظرية المعرفة من حيث هي إطار تقليدي عام يطرح إشكالية المعرفة. وفلسفة العلوم نشأت كفرع متميز عن الفلسفة في القرن العشرين في لحظة تصادم أسلوبين من الأحداث: الأول يتمثل في إنهيار تقاليد الفلسفة الكانطية، والثاني هو أزمة العلوم والرياضيات في بدايات القرن العشرين، لكن في حقيقة الأمر فلسفة العلوم لها تاريخ طويل يرجع إلى بدايات التفكير الإنساني لدى الإغريق. للمزيد من التفاصيل إرجع إلى:

-Donald M. Borchert, **Encyclopedia of Philosophy**, Vol.07, USA, Thomson Star Logo and Macmillan Reference, Printed in the United States of America, Second edition, 2006, p.503.

[3]– مصطلح الإيتيمولوجيا (etymology): فهو علم إشتقاق الكلمات، أو علم التأثيل، إذ يتكون المصطلح من مقطعين يونانيين: (etymos)، وتعني الحقيقة والمقطع الثاني (logos)، مفردة تشير إلى إله التفكير عند "أفلاطون"، وبالمعنى الإجرائي تدل على المرجعية أو الإطار الكلي للتفكير. وهي متعددة المعاني وتستخدم هنا بمعنى الكلمة. والايتيمولوجيا فرع من فروع اللسانيات يدرس أصل الكلمات، وكيفية تطورها، وشرحها. أنظر:

– الايتيمولوجيا في الموقع الإليكتروني للموسوعة الحرة: **http://ar.wikipedia.org/wiki/**، تاريخ الدخول: يوم الإثنين 14 جانفي 2013، على الساعة: 30: 18 مساءا.

[4] – يعطي الباحث السوري "فراس السواح" – المتخصص في ميثولوجيا وتاريخ الأديان – تعريف شامل وموضوعي لمفهوم الأسطورة، حيث يقول: "هي نظام فكري متكامل، إستوعب قلق الإنسان الوجودي، وتوقه الأبدي لكشف الغوامض التي يطرحها محيطه، والأحاجي التي يتحداه بها التنظيم الكوني المحكم الذي يتحرك ضمنه. إنها إيجاد النظام حيث لا نظام، وطرح الجواب على ملحاح السؤال، ورسم لوحة متكاملة للوجود، لنجد مكاننا فيه ودورنا في إيقاعات الطبيعة. إنها الأداة التي تزودنا بمرشد ودليل في الحياة، ومعيار أخلاقي في السلوك، إنها مجمع في الحياة الفكرية والروحية للإنسان القديم ". للمزيد من المعلومات حول المدارس الفلسفية التي تحدثت عن مفهوم الأسطورة، أنظر:

– فراس السواح، **مغامرة العقل الأولى: دراسة في الأسطورة – سورية وبلاد الرافدين**، دمشق، دار علاء الدين، ط11، 1996، ص-ص.13-19.

[5]– محمد الشكير، **مجزوءة الفلسفة**، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، 2005، ص.24.

[6]– أندريه لالاند، **المرجع السابق**، ص.44.

[7]– الطاهر وعزيز، **المناهج الفلسفية**، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1، 1990، ص.145.

[8]– **المرجع نفسه**، ص.146.

[9]– **المرجع نفسه**، ص.147.

[10]– الجمهورية أهم ما ألف "أفلاطون" من كتب، فهو بحث شامل لفروع متشعبة من آرائه، وكأنما أراد أن يكون ملخصا لجميع جوانب فلسفته، ففيه مذهبه في ما وراء الطبيعة، وفي السياسة، والدين، والأخلاق، وعلم النفس، والتربية، والفن.

[11]– أفلاطون، **الجمهورية**، تر.جيلالي اليابس، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط1، 1990، ص.18.

[12]– **المرجع نفسه**.

[13] – الهيرمينوطيقا (hermeneutics): تسميها بعض الكتابات المعاصرة بـ: "علم التأويل"، فهي تبحث عن فهم النص وتفسيره، وقد اشتق هذا المصطلح من كلمة "هرمس" اليونانية، وهو ملاك ينقل تعاليم الآلهة ورسائلها إلى الأرض. للمزيد من التفاصيل حول تطور المفهوم أنظر:

– بن مزيان بن شرقي وآخرون، **من مناهج النقد الفلسفي: دروس في المنهجية**، وهران، دار الغرب للنشر والتوزيع، د.س.ن، ص.105.

[14]– جمال الدين بوقلي حسن، **إشكاليات فلسفية**، الجزائر، الديوان الوطني للمطبوعات، ط1، 2007، ص-ص.112-113.

[15]– أحمد أمين، زكي نجيب محمود، **قصة الفلسفة اليونانية**، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1977، ص.172.

[16]– محمد عبد الرحمن مرحبا، **من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية**، المجلد الأول، بيروت، دار عويدات للنشر والطباعة، 2000، ص.127.

[17]– أحمد أمين، زكي نجيب محمود، **المرجع السابق**، ص.163.

[18]– **المرجع نفسه**، ص.164.

[19]– أفلاطون، **المرجع السابق**، ص.286.

[20]–الدياليكتيك: هو الجدل يعرفه "لالاند": " بالمحمولات الجدلية وعددها أربعة: الحد، النوع، الحقيقي والعرضي ". والجدل عند "أفلاطون" هو جدل صاعد، وجدل نازل.

[21]– جمال الدين بوقلي حسن، **المرجع السابق**، ص.112.

[22]– البايدايا: كلمة يونانية يقصد بها عادة التربية أو الإستنارة، و"هيدغر" يترجمها بالتكوين والتهيئة والتشكيل. لكن "أفلاطون"، يقول: " هي التمهيد لتحول إتجاه الإنسان بكليته، وفي ماهيته ".

[23]- مصطفى غالب، **في سبيل موسوعة فلسفية: أفلاطون، أريسطو، نيتشه**، بيروت، دار الهلال، 1983، ص-ص.35-40.

[24]- **المرجع نفسه**، ص.41.

[25]- أنطولوجيا (ontologie)، حسب "لالاند": "دراسة أو معرفة ما هي عليه الأشياء بذاتها، من حيث هي جواهر فريدة"، وهي مبحث من مباحث الفلسفة، ويعرفها "أريسطو" بأنها: "البحث في الوجود من حيث هو موجود".

[26]- مارتن هايدغر، **نداء الحقيقة**، تر: عبد الغفار مكاوي، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، 1977، ص.344.

[27]- ميشال فوكو، **حفريات المعرفة**، تر: سالم يفوت، دار توبقال للنشر، ط1، 1986، ص –ص.125-126.

[28]- علي حرب، **نقد الحقيقة: النص والحقيقة**، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1، 1993، ص-ص.20-21

[29]- جاك دريدا، **صيدلية أفلاطون**، تر: كاظم جهاد، تونس، دار الجنوب للنشر، 1998، ص.8.